



معرف الكائن الرقمي للمقال: 10.54239/2319-022-999-005 (DOI)

## الطب النفسي في شمال إفريقيا - كتاب المالikholia لإسحاق ابن عمران- أنموذجا

### Psychiatry in North Africa - Ishaq Ibn Imran's book Al-Malikholia as a model

د. مليكة عدالة\*

باحثة بجامعة وهران 1 / الجزائر

addala.malika@gmail.com

د. خديجة شنعة

باحثة بجامعة وهران 1 / الجزائر

khedidjachenaa@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/02/21 تاريخ المراجعة: 2023/03/05 تاريخ القبول: 2023/07/30

#### الملخص:

إن موضوع الطب النفسي يعتبر من المواضيع الحساسة و النادرة التي قلما تناولها المؤرخون نظرا لانعكاساتها على المجتمع، وهي لا تزال تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسات التاريخية، وفي هذا الصدد نتناول كتاب المالikholia لإسحاق بن عمران، والذي يعتبر واحد من أهم المؤسسين لعلم الطب النفسي في تونس كونه مزج بين المعارف الطبية التي اطلع عليها ومارسها زمن إقامته في بغداد وبين جهود التجديد في الطب التي وجدت بالقيروان. وقد ذاع صيته في بغداد والعراق زمن العصر العباسي، وتضاعفت شهرته حينما ارتحل إلى القيروان وإلى افريقية.

\* د. مليكة عدالة، باحثة- جامعة وهران 1.



أما كتابه المالikhوليا فيعتبر من المصادر التاريخية الأساسية التي توثق لتاريخ الطب النفسي والعلاجات النفسية، إذ يقدم الكتاب وصفاً مفصلاً لأعراض الاكتئاب وأسبابه وعلاجاته، بالإضافة إلى توضيح أسبابه من وجهة نظر الطب القديم، ويشمل الكتاب على عدد من الأفكار والمعتقدات الطبية القديمة، مثل نظرية الأمشاج أو الأخلاط الأربعة التي تحدد نظرية التوازن بين السوائل الجسدية، والتي كانت تستخدم في تفسير وعلاج الأمراض النفسية. وبشكل عام، فإن كتاب المالikhوليا لإسحاق بن عمران يعتبر مصدراً قيماً لفهم أسباب الأمراض النفسية وأعراضها وعلاجاتها النفسية، وكيف تغيرت تلك العلاجات مع مرور الزمن. ويوفر أيضاً فهماً عميقاً لتأثير المرض النفسي على الإنسان ومجتمعه، وكيف يمكن تشخيصه وعلاجه بشكل أكثر فاعلية في العصور الوسطى، كما تضمن بعض الأفكار والمفاهيم الفلسفية، وخاصة فيما يتعلق بفهم الإنسان وطبيعته. وبهذا فقد أثر الكتاب على العديد من العلماء والمفكرين والمعالجين عبر التاريخ، واستمرت تأثيراته حتى العصر الحديث. الكلمات المفتاحية: المالikhوليا؛ إسحاق ابن عمران؛ العلاج؛ الإكتئاب؛ الطب النفسي؛ الأدوية؛ الإحباط؛ الأخلاط الأربعة.

### Abstract :

The topic of psychiatry is considered one of the sensitive and rare subjects that historians rarely addressed due to its societal implications, which requires further research and historical studies. In this regard, we discuss the book "Malikhulia" by Ishaq ibn Imran, which is considered one of the pioneers in the field of psychiatric medicine in Tunisia, as it combines the medical knowledge he acquired and practiced during his time in Baghdad with the innovative efforts in medicine that were taking place in Kairouan. His reputation spread in Baghdad and Iraq during the Abbasid era, and his fame increased when he traveled to Kairouan and Africa.

As for his book "Malikhulia," it is considered one of the primary historical sources that document the history of psychiatric medicine and psychological treatments. The book provides a detailed description of the symptoms, causes, and treatments of depression, as well as an explanation of the causes from the perspective of ancient medicine.



The book includes several ancient medical ideas and beliefs, such as the theory of the four humors, which defined the theory of balance between bodily fluids. This theory was used to interpret and treat mental illnesses in the Middle Ages.

In general, it can be said that the book "Malikhulia" by Ishaq ibn Imran is a valuable source for understanding the causes, symptoms, and psychological treatments of mental illnesses, and how these treatments have evolved over time. The book also provides a deep understanding of the impact of mental illness on individuals and society, and how it can be diagnosed and treated more effectively in medieval times.

In addition to the medical and psychological topics covered in Ishaq ibn Imran's book "Malikhulia," it also touches upon some philosophical ideas and concepts, particularly regarding the understanding of human nature.

For instance, the book explores the concept of human nature and its impact on mental illness, indicating that some individuals may be more prone to depression and anxiety due to their unique nature. The book offers some advice for dealing with such individuals.

Thus, it can be said that the book "Malikhulia" by Ishaq ibn Imran is a valuable source of knowledge and understanding in the field of psychiatric medicine and psychotherapy. It encompasses scientific, philosophical, and cultural aspects, making it influential among scholars, thinkers, and practitioners throughout history and even in modern times.

**Keywords :** Ishaq ibn Imran 'Malikhulia' treatment-Therapy' Depression' Mental and physical health' pharmaceutical' psychological diseases

- مقدمة:

تعتبر كتب الطب من أهم الكتب التي أرخت لتاريخ الحركة الطبية عبر العصور، وقد إشتهر الكثير من الأطباء الذين كان لهم باع طويل في صناعة الطب في العالم الإسلامي، ومن بين هؤلاء نذكر الطبيب إسحاق بن عمران الذي ذاعت شهرته في



القيروان وفي الحضارة العربية الإسلامية والذي كان له الفضل الكبير في التأريخ للطب النفس من خلال كتابه الماليخوليا، فما مفهوم مصطلح الماليخوليا؟ وكيف شخّص ابن عمران مرض الماليخوليا من خلال كتابه؟ وما أسبابه سواء الجسدية أو النفسية أو العصبية و ماهي وسائل العلاج التي أقترحها ابن عمران للتخفيف من داء الماليخوليا؟

### 1- لمحة عن تاريخ الطب النفسي عند العرب في القرون الوسطى:

لقد ظل علم النفس لفترة طويلة مجالاً للتفسيرات الميتافيزيقية أي مجالاً غامضاً وكذا لاجتهاد الفلاسفة والحكماء ورجال الكنيسة، ثم أصبح فرعاً من فروع علم الفلسفة، ولم يستقلّ عنه إلا بعد أن أصبح له موضوعه ومنهجه الخاص به، وقد أسهم علماء المسلمين اسهاماً كبيراً في تطوير الطب النفسي، وتقويم نظرة الناس إلى النفس البشرية، وكشف الكثير من أسرارها وخبائها، وفصّلت ما ذكره القرآن مُجَمَّلاً في هذا المجال (انظر التعليق رقم 1).

لقد أسهم العلماء المسلمين إسهامات هامة في الدراسات النفسانية، لكنهم لم تحظ من قبل باهتمام الباحثين والمؤرخين، فهم يغفلون عن ذكر إسهامات العلماء المسلمين في الدراسات النفسية، رغم أنه قد تُرجم عديد منها إلى اللغة اللاتينية، وأثّرت تأثيراً كبيراً في آراء المفكرين الأوروبيين أثناء العصور الوسطى حتى بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

وفي هذا يقول د. سليم عمار: "جاء الإسلام في بقعة تُعتبر مفترقاً للحضارات القديمة، فأحيا التُّراث العلمي والفلسفي اليوناني والبيزنطي والفارسي والساساني والسرياني... واستطاع بفضل قيمه الأخلاقية والروحية السامية، أن يحوّل قومًا من البدو الرُّحَل يعبدون الأصنام، إلى قوم يدعُونَ إلى طهارة النفس وسلامة الحياة" (sleim ammar ;1998 ;p31) وفي هذا الإطار أخذ الطبُّ النفسي انطلاقة عملاقة خاصة وأنه أصبح الأطباء العرب المسلمون شديدي التعلُّق بالممارسة والتجربة فلمعت نخبة من الأطباء في ظل الأشغال الثقافي للحضارة الإسلامية، ومن أبرز رواده ابن سينا (980م/1037م) ونظريته التي تخضع الطب للفلسفة وتجعله جزءاً منها، ويعد كتابه القانون



فسي الطيب (ابن سينا، 1996، ص 44) دستور الطب من الناحية العضوية و النفسية، أمّا علاقته بالطب النفسي فقد أوجد في المقالة الرابعة من القسم الأول براهين على أمراض الجهاز العصبي وكذا الأمراض النفسية فقد كان للطب النفسي وقع كبير على حياة ابن سينا، وهذا لقدرته الفكرية الواسعة في إدراك خبايا النفس البشرية وتفكيكها وتشريحها فلسفيا وإدراك العلاقة الترابطية بين الوظائف النفسية والوظائف الجسمية من حيث نظريته التكاملية للشخصية الإنسانية (ألمو فريدة، 2021، ص 159)

وقد سبقه في هذا المجال طيب آخر وهو إسحاق بن عمران الذي ينتمي إلى مدرسة القيروان إذ ألف إحدى عشرة مخطوطة لم يصل إلينا منها سوى كتابه في المالمخوليا عندما تحدث بإسهام عن المرض في فصلين :

يتعلق الأول منهما بتعريف المرض وماهيته ومظاهره السريرية، كما يشير إلى سبب المرض الناتج عن فقدان محبوب ما، أو شيء مرغوب فيه برؤية تُشبه نظرية التحليل النفسي.

أما الفصل الثاني من ذلك الكتاب، فيعرض مختلف الوسائل العلاجية.

## 2- التعريف بصاحب الكتاب:

إسحاق بن عمران من الحكماء، أول من أدخل الطب لبلاد المغرب فهو طبيب مشهور وعالم مذکور ولد في سمراء بالعراق ثم إنتقل إلى بغداد حيث تتلمذ على الطبيب بختيشو بن جبريل (التعليق رقم 2) الذي كان طبيب الخليفة العباسي يومئذ وكان ابن عمران كثير التردد على المجالس الطبية والعلمية التي تنظم في دار الحكمة ببغداد. كان طبيا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة، بصيرا بتفرقة العلل أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته استوطن القيروان حيناً وألّف كتبا كثيرة، ويعرف ابن عمران بسّم ساعة وذلك لنجاعة علاجاته التي تبرئ بسرعة (حسن عبد الوهاب، 1981، ص 57) وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل كان بغدادى الأصل (ابن أبي أصيبعة، 1998، ص 440) ودخل إفريقية والقيروان في عهد الاغالبة قادما من بغداد حوالي عام 261هـ/877م وقد اشتهر وأصبحت له سمعة بين عدد كبير من الأطباء الذين



جاؤوا من بعده وأخذوا منه فهذا عالم النبات الأندلسي ابن بيطار يذكره عدة مرات في كتابه الأدوية المفردة (التعليق رقم 3)

## 2-1- مؤلفاته:

ألف عدة كتب منها نزهة النفس، وكتابه في داء المالمخوليا لم يسبق مثله، كتابه في الفصد، وكتاب في النبض، وكتاب في الأدوية المفردة كتاب العنصر والتمام في الطب ومقالة في الاستسقاء، كتاب نزهة النفس، مقالة في علل القولنج وأنواعه، كتاب في البول من كلام أبقراط وجالينوس (ابن أبي أصيبعة، 1998، ص 441/المازني صبحي إسلام، 2006، ص 112).

## 2-2- التعريف بالكتاب

كتاب مقالة في المالمخوليا هو مختصر وضعه ابن عمران في داء المالمخوليا يتكون من مقالتين:

-المقالة الأولى يتحدث عن سبب وضع الكتاب والتعريف بالداء وأعراضه، وكيفية حدوثه وأسبابه والأصناف السريرية، ويحدد مظاهره ويقترح طرق العلاج. ويعتبر كتابه هذا أول دراسة متكاملة في داء المالمخوليا وماله من أعراض وقد صنفها ابن عمران بدقة وفي غاية من الوضوح، وقد استند في تحليله على نظرية الأخلاط الأربعة لأبقراط. كما تحدث عن علم الأدوية التي ركز فيها على الأعشاب والعقاقير التي يمكن استعمالها في علاج المالمخوليا، إضافة إلى طرق علاج أخرى المتمثلة في الطرق النفسية والاجتماعية والفيزيائية وبالمناخ والبيئة.

-المقالة الثانية يتحدث فيها عن وسائل العلاج وهي العلاج النفسي، والعلاج بالحمية والتغذية، العلاج بالطرق الفيزيائية، والعلاج بالبيئة والمناخ، العلاج بالأدوية والعقاقير والموسيقى.

## 3- مفهوم مصطلح المالمخوليا:

المالمخوليا أو داء الاكتئاب عرف هذا الداء منذ قدم الزمان وكانت معانيه متجسمة في سلوك البشر ووضعيتهم الوجدانية، (أبو منصور الثعالبي، 2002، ص 102)



، فهذا المرض يحدث للإنسان أفكار رديئة وظنون ويغلبه الحزن والخوف وخلط في الأفكار والكلام (الخوارزمي، 1985، ص96) وفي الأصل هذا الداء هو

وهو مصطلح من اللغة اليونانية القديمة وتعني المرارة السوداء Malikolia (القليسي عبد ال الرزاق،، 2015، ص 7) la bile noire من نظرية الأخلاط الأربعة للطب اليوناني حيث وضع أساسها أبقرراط (محمد كامل، د.ت، ص284) وطورها جالينوس وتتلخص هذه النظرية في أنّ الجسم مكون من أربعة عناصر أو سوائل، وهي الأخلاط بالمصطلح الفلسفي الطبي والتي هي عبارة عن أجسام وتتمثل في الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء التي تميز نظرية الأخلاط الأربعة. (الخوارزمي، 1985، ص106) ويعود الإكتئاب إلى إفراط السوداء أو إفرازها الغير طبيعي في الطحال (محمد كامل، د.ت، ص284)، ويرى الزهراوي أنها تنشأ من الأغذية التي تتركب من هذه العناصر الأربعة (الزهراوي، 1988، ص137) فإذا امتزجت وتوافقت فهذا يعني أنّ الجسم يتمتع بصحة جيدة (ينظر التعليق رقم 4) وإذا تباينت وتعارضت فإنّ الجسم يصيبه المرض فيتدهور ويضطرب (ابن النفيس، 1988، ص 23/كمال السامراني، 1990، ص99)

غالبًا ما يكون شعور مالمليخوليا متجذرًا في نقص الفرس. إذ يمكن أن يؤدي غالبًا إلى الشعور باليأس، عندما يشعر الأفراد أنّ حياتهم خارجة عن سيطرتهم، وأن إخفاقاتهم هي انعكاس لعدم كفاءتهم، فيحدث عندهم الحزن العميق والأسى وفقدان الأمل، وعدم القدرة على الاستمتاع بالنشاطات المختلفة.

وكان في السابق يطلق على هذه الحالة اسم الاكتئاب، لكن في الوقت الحالي أصبح يصنف ضمن الأنواع الفرعية للاكتئاب فيقول إسحاق بن عمران عن داء المالمليخوليا أنّ اسمه لم يقع بالحقيقة على معنى الداء إنما وقع على سببه الأدنى وهو المرّة السوداء، فأما نفس الداء فإنما تعرف معنويته بالصفة والنعته وذلك أنه مرض يحل بالجسم وتلحق أضراره للنفس "ويضيف قائلا: "هو ظن ما من السوداء والتوحش لأن ما يظنون أنه حق وليس بحق....فهو خوف ووساوس على النفس، فيحدث لها الفزع والخوف" (ابن عمران، 2009، ص 47 و ص54) وبالتالي فما هي الأسباب التي تحدث هذا الداء؟



#### 4- أسباب المالمخوليا:

إن المصاب بداء المالمخوليا يدخل في حالة شديدة من الحزن والاكتئاب ويصبح لا يستجيب لبعض المثريات وربما يصرخ وينطق بتلك الأفكار الرديئة، وأخلط في كلامه بسبب تغير الفكر والظنون من المجرى الطبيعي إلى الفساد، وتظهر على المريض علامات الحزن دون وجود أسباب ظاهرة له ويغلب على المريض فقدان الحيوية والمزاج والاهتمام بما يجري حوله (تريكي فتيحة، 2021، ص270)

ولهذا صنف ابن عمران عوامل الإصابة بداء المالمخوليا إلى عدة عوامل فقد تكون وراثية أو بيولوجية أو بيئية سواء داخلية أو خارجية:

#### 1-4- العوامل الداخلية

-الأسباب الفطرية أي قبل الولادة: ويرجعه إلى اختلال وامتزاج مزيج المني (الرجل) والطمث (المرأة) وسبب ذلك إما عدم ملائمة درجة الحرارة البرودة أو السخونة وبهذا يفرز خلل في هرمونات الجنين. (بن قويدر أحمد، 2013، ص13)

-الأسباب الجسدية أو جسمية: وتعود أساسا إلى كثرة الطعام لحد التخمة وعدم ممارسة نشاط سواء رياضي أو عملي وهنا يحدث التكسد (بن قويدر أحمد، 2013، ص13) فيمرض البدن أو الجسم ويصاب المرء بالسوداوية المتعارف عليها بالمالمخوليا.

-العوامل الوراثية: يمكن أن يكون علم الوراثة أحد المساهمين في داء المالمخوليا، إذ أظهرت الدراسات أنه إذا كان أحد أفراد الأسرة مصابًا بالمرض، فمن المرجح أن يصاب به أفراد الأسرة الآخرون أيضًا. كما يُعتقد أنّ التغيرات في الدماغ الناتجة عن عوامل وراثية يمكن أن تزيد من خطر الإصابة بالمالمخوليا، إذ أنّ الأشخاص الذين لديهم تاريخ عائلي

للاضطراب هم أكثر عرضة لتجربة المرض (Henri loo et pierre loo ;1996 ;p44.)

ولقد اكتشف العلماء جينات معينة قد تكون متورطة في تطور المالمخوليا، على الرغم من الحاجة إلى مزيد من البحث في هذا المجال. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن تؤدي التغيرات في كيمياء الدماغ، مثل اختلال توازن بعض الهرمونات، إلى ظهور مالمخوليا،



إذن السبب الدقيق للماليخوليا غير معروف، ولكن يُعتقد أنه ناتج عن مجموعة من العوامل البيولوجية. (عبد الرحمن محمد العيسوي، 1992، ص77)

كما يلعب علم الأحياء دورًا مهمًا في تطور الماليخوليا، حيث حدد أحد الباحثين جينات معينة مرتبطة بهذا الاضطراب. تشمل المكونات البيولوجية الأخرى التي قد تؤثر على مستويات هرمون الشخص، ومستويات الناقل العصبي، وعمل الجهاز العصبي للدماغ (أحمد عكاشة، 1986، 74).

**-العوامل العصبية الباطنية:** إن الاختلال البيو كيميائية في الدماغ هي سبب آخر محتمل. فالناقلات العصبية هي مواد كيميائية تساعد في إرسال الرسائل بين خلايا الدماغ. عندما لا ينتج الدماغ الكمية المناسبة من الناقلات العصبية، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تغيرات في المزاج والتفكير والسلوك. وبالتالي يمكن أن يسبب للشخص أعراض ماليخوليا (عبد الرحمن محمد العيسوي، 1992، ص92)

#### 2-4- العوامل الخارجية:

##### -العوامل البيئية الاجتماعية:

إن الأشخاص الذين يعانون من ضغوط كبيرة في الحياة، مثل فقدان الوظيفة أو الطلاق أو وفاة شخص عزيز، هم أكثر عرضة للمعاناة من هذا الاضطراب. (بن قويدر أحمد، 2013، ص15)، والعوامل البيئية الأخرى، مثل العيش في فقر تعتبر أيضا من العوامل الاجتماعية والبيئية التي تعرض الإنسان للإصابة بداء الماليخوليا (عبد الرحمن محمد العيسوي، 1992، ص111).

##### -العناصر النفسية:

قد تساهم هذه العناصر النفسية في تطور الماليخوليا كاستجابة الشخص لأحداث الحياة المجهد، مثل الوفاة في الأسرة، أو تغيير وظيفي كبير، أو تفكك العلاقة. يمكن أن تؤدي هذه الأحداث إلى فترات طويلة. (ابن عمران، 2009، ص54)

##### -الأسباب المناخية:

يرجع الأسباب المناخية إلى الإصابة بالمرض حيث يذكر ابن عمران أن سكاني البلد الحار أو اليابس جدا ونقاء الهواء وصفاءه له دور في تجمع و تكثر الفضول في البدن



وتخرجها علي طول المدة مرض السوداء "ابن عمران، إسحاق، 2009، ص77) والمقصود به المزاجية بطبيعة المناخ ستؤدي إلى الإصابة بالماليخوليا.

-الأسباب النفسية:

يذكر ابن عمران أنّ الحالة النفسية المتقلبة من حال إلى حال و من زمن إلى زمن وفيه إشارة إلى عدم استقرار النفس التي تعتبر من أهم خصائصها بقوله " يتبين أنّه للنفس عوارض تتقلب عليها في كل وقت من سخط أو رضي أو جنون أو فزع أو حياء أو ما شابه ذلك " (ابن عمران، إسحاق، 2009، ص82)

3-4- عوامل الإجهاد:

الإجهاد في استعمال طاقة تفوق طاقة الشخص يؤدي إلى الإصابة بالماليخوليا يمكن تقسيم عامل الإجهاد إلى:

-الأسباب الدينية (المغالاة في العبادة)

يذكر ابن عمران أنّ الكثير من النساك والصالحين يقعون في الوسواس السوداوي بكثرة خوفهم من الله وفزعهم من عقابه أو من شدة تشوقهم إليه فيقعون في مثل ما يقع فيع العشاق من قلق الهيمن حتى يفسد أعمال النفس و أفعال الجسد جميعا (ابن عمران إسحاق، 2009، ص88) وعليه فالمغالاة في العبادة تنهك الجسد والنفس فنحن أمة وسطا، والوسطية تكون في كل الشيء حتى في العبادة (خلود بنت الرحمن المهيذغ، 2011 ص75)

-الأسباب الفكرية:

إنّ الإجهاد الفكري عندما يستخدم طاقة تزيد عن طاقة الشخص نفسه فستؤدي إلى داء الماليخوليا حيث يذكر ابن عمران أنّ النفس إنما تذكر بتعلم العلم وهي مرتبطة بالجسم ما كانت تعلمه قبل أن تتركب في الجسم وهي عالم العقل وبذلك فإنهم قريبون من الوسواس السوداوي لكثرة الإحالة والتفكير و شدة البحث والتميز (ابن عمران إسحاق، 2009، ص88)

5- أساليب العلاج من داء الماليخوليا:



عرّف أبو بكر الرازي العلاج بأنه حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى بقدر طاقة الإنسان (محمد العربي الخطابي، 1988، ص134)، أمّا العلامة ابن خلدون فيقول أنّ الطب صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية" (ابن خلدون، 1988، ص650)، أمّا ابن عمران ففي مقاله طرح قواعد العلاج وقسمه إلى قسمين علاج مظهري وعلاج سببي وذكر أساليب العلاج التالية:

### 5-1- العلاج النفسي:

يعد العلاج النفسي مصطلحا عاما لعلاج الاكتئاب من خلال الحديث عن حالة ومشكلات ذات الصلة مع أخصائي في الصحة النفسية ويعرف هذا العلاج بالحوار أو المعالجة النفسية..

في أثناء العلاج النفسي، تتعرف على حالتك وحالاتك المزاجية ومشاعرك وأفكارك وسلوكياتك. وقد يساعدك العلاج النفسي على تعلم كيفية السيطرة على حياتك وتحمل المواقف الصعبة من خلال مهارات التكيف الصحي.

فهناك العديد من أنواع العلاج النفسي، لكل منها منهجها الخاص. يعتمد نوع العلاج النفسي المناسب للمريض على وضعه الفردي. ويُعرف العلاج النفسي أيضًا باسم العلاج بالحوار، والاستشارة، والعلاج النفسي، أو ببساطة العلاج الاجتماعي بالمحادثة إلى المريض حول الوضع والأمور المتعلقة به، وكان يقصد به إسحاق بن عمران مخاطبة المريض، عندما يذكر أنّ المصاب بالماليخوليا يحتاج إلى عقد صلة كلامية وتواصلية بمن حوله. فيجب أن تقام هاته الصلة على أسس صحية متينة تهدف إلى التخفيف من حالته ومن ألمه النفسي بقوله: "لما كانت أعراض مرض الماليخوليا النفسية مهولة وقد بينها فيما سلف به القول وجب أن نقابل الأعراض النفسية بإزالة تلك الظنون الكاذبة والتخيلات الفاسدة والخطرات الرديئة بالألفاظ العقلية اللطيفة والحيل النظرية والنظر" (ابن عمران، 2009، ص220)

### 5-2- العلاج بالموسيقى



بدأ استخدام الموسيقى في العلاج منذ قديم الزمان؛ ولطالما ارتبط مفهوم الشفاء بالعلاج النفسي حيث كانت أسباب الكثير من العلل والأمراض إلى الجانب الروحي والخلل في النفس البشرية، فقد استخدمها العلماء عبر التاريخ، وأشارت بعض الدراسات ( انظر التعليق رقم 5) إلى كيفية تأثير الموسيقى على الصحة، وأن الاستماع إلى الموسيقى وتشغيلها يزيد من إنتاج الجسم للأجسام المضادة المناعية فتهاجم الفيروسات وتعزز فاعلية الجهاز المناعي. كما تقلل الموسيقى أيضاً من مستويات هرمون الإجهاد الكورتيزول، ما يعزز الشعور بالهدوء والاسترخاء (نصيرة شيادي، 2020، ص 521).

لقد كان للعلاج بالموسيقى دور كبير في شفاء المرضى، وكان على الطبيب أن يتعلم العزف على العود لتكتمل المعرفة الطبية لديه؛ فالرازي استخدم العود لشفاء العلل النفسية، واستخدم اللحن والتنغيم للمساعدة في عمليات الشفاء وقد كان

هذا العالم منذ صغره يجيد ضرب العود (الذهبي 2001، ص 354) أما الفارابي فكان له دور هام في تطوير العلاج النفسي بالموسيقى؛ فقد اعتبر الموسيقى في كتابه "الموسيقى الكبير" (الفارابي، د.ت، ص 36) على أنها صناعة تشتمل على الألحان وما بها تلتئم وتصير أكمل وأجود، وأضاف في كتابه آخر على أنها علم يشتمل بالجملة على تعرف أصناف الألحان وعلى ما منه تؤلف، وعلى ما له ألفت وكيف تؤلف، وبأي أحوال يجب أن تكون حتى يصير فعلها أنفذ وأبلغ" (أبو نصر الفارابي 1996، ص 60)

ومن هنا يقول ابن عمران أن الموسيقى تزيل ما وقر في النفس وانحبس في الخلد من المعاني الباطلة التي لا حقيقة لها بحركة الموسيقى وسقي الشراب" (ابن عمران، 2009، ص 63).

### 5-3 العلاج بالسفر

المعلوم أنّ السفر من أفضل الوسائل للترفيه عن النفس وعلاج الاكتئاب فهو أمر ممتع وعلاج نفسي للتعب والارهاق والتوتر، كما أنه يبعث السعادة للنفس و يتيح الاكتشاف أماكن وثقافات مختلفة فيعمل على تعزيز الصحة العقلية، فالسفر يساعد على الاستجمام والاسترخاء والتخلص من الضغوطات والمشكلات المتراكمة لهذا ينصح ابن عمران بضرورة السفر لإزالة الهم عن النفس على حد تعبيره: "لتزيل ما وقر في



النفس وانحبس في الخلد من المعاني الباطلة التي لا حقيقة لها بحركة الموسيقى وسقي الشراب" (ابن عمران، 2009، ص62)

#### 4-5 العلاج بالتغذية الصحية والحمية:

إنّ إتباع نظام غذائي صحي له أهمية كبيرة تعود على جميع أجزاء الجسم بالفائدة، فالغذاء الصحي يساعد الجسم في أداء وظائفه وعلى حماية الخلايا من الأضرار البيئية، والأکید أنّ العديد من الأمراض التي تصيب الانسان تكون جراء تناول الأغذية الفاسدة التي تصيب ضررا للجسم وأنه على الإنسان ألاّ يصيب من الأطعمة والأشربة إلاّ ما وافق منها طبائع جسده و وعدلها حتى يكون مزاجها معتدلا(عبد الملك بن حبيب، 2004، ص61)

لذلك ينصح ابن عمران الاعتناء بالصحة، والتي ينبغي أن تكون كما ورد عند أحد الباحثين تكافؤ الطباع، واستواء الأخلاط وثباتها في الاعتدال وألاّ ينقص الإنسان شيئا من أموره المعتادة الطبيعية أو غير الطبيعية" (الخطابي محمد العربي، ص345) ويكون ذلك تبعا لستة قواعد وهي العمل والحركة، السكون والنوم واليقظة، الطعام والشراب، الهواء النقي الاستفراغ والامتناع، الأحداث النفسية وإعداد أطعمة صحية. تعتمد التغذية الصحية على تناول مجموعة متنوعة من الأطعمة المحتوية على العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم للحفاظ على الصحة والشعور بالراحة والحصول على الطاقة.

#### 5-5 العلاج بالأدوية والعقاقير:

لقد أظهر العلماء عناية فائقة في مجال تصنيف الأدوية المفردة، أو العمل الصيدلي الذي يركز بالأساس على المنتجات الطبيعية التي يكون أصلها نباتي أو حيواني أو معدني والتي هي أساس لتحضير الدواء وتسمى بالأدوية المفردة، وغالبا ما يطلق على الأصل النباتي في المستحضر الدوائي اسم العقاقير لأن أساس صناعة الأدوية في الغالب



من الأعشاب ثم ضمت إليه بعض الأدوية الحيوانية والمعدنية (محمد كامل حسين، د.ت، ص282)

فكثيرا ما لجأ المرضى إلى التداوي بالأعشاب والعقاقير أو العلاج النباتي والذي أشتمل على استخدام ما هو مخصص من النباتات لأغراض طبية وعرف هذا العلاج منذ القدم واستمر إلى يومنا هذا ولا يزال يمارس على نطاق واسع، وكان العقارون يقومون بإعداد الأدوية والعقاقير معتمدين على النباتات التي تتوفر عليها أرضهم حسب نظرية أبقراط: "يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فالطبيعة تفرع إلى عاداتها" (نقلا عن ابن أبي أصيبعة، ص40) وقد رأى ابن عمران أنه بإمكان العليل المصاب بداء المالمخوليا أن يسترد صحته وعافيته ويتخلص من الضغط النفسي بتناول الأدوية والعقاقير وهذا ما سيسترجع توازنه من خلال استعمال الأدوية المفردة، بينما يقترح أحد المؤرخين المهتمين بعلم النباتات أنه يوجد نوع من النبات للتخفيف من داء المالمخوليا، وهو نبات شحمة الدجاجة الموجودة في الطبيعة الذي يساعد على الشفاء من المالمخوليا بعد تناوله كعصير للشرب. (ابن خير الاشبيلي، 1995، ص579)

هذه هي بعض الأساليب التي اقترحها ابن عمران للتخفيف من داء الاكتئاب أو المالمخوليا معتمدا في ذلك على مجموعة من الوسائل المتنوعة للتعامل مع هذا الاضطراب النفسي.

-خاتمة:

يمكن القول أنّ كتاب "مقالة في المالمخوليا" لعمران ابن اسحاق هو مصدر علمي خاص بعلم النفس الكلينيكي، إذ يعتبر الكتاب من أوائل المصادر التاريخية التي تتحدث عن مرض المالمخوليا بشكل شامل ومفصل.

-يوفر الكتاب نظرة شاملة عن هذا الاضطراب النفسي الذي يصيب الكثير من الناس.  
-كما يعد هذا الكتاب واحداً من أكثر المصادر الطبية القديمة شهرة واهتماماً بين العلماء والمهتمين بالطب النفسي والصحة العقلية. إذ يحتوي على معلومات قيمة حول الأسباب المحتملة للمالمخوليا والأعراض المرتبطة بهذا المرض، بالإضافة إلى العلاجات المتاحة والاستراتيجيات الفعالة للتعامل مع هذا الاضطراب النفسي .



ولزم الإشارة أنّ ابن إسحاق تجنب التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية التي تتصل بالغيبيات من تلبس بالجن أو الأرواح الشريرة ومن التفسيرات الغيبية وقد كان كتابه علميا كليتا من حيث مادته في الطرح أو التفسير أو التحليل إلى أن خلاص إلى العلاج .  
وفي الختام يعتبر إسحاق بن عمران مؤسس مدرسة داء المايلخوليا فكان طبيبا مبدعا متحكما في مادته العلمية.

#### -التعليق:

-التعليق 01: لقد كان القرآن الكريم هو الحافز لهذه الحركة الإنبعائية الحضارية إذ احتوى القرآن الكريم على وصف موجز لطبائع النفوس ووسائل علاجها، وكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه وأسرار الكون من حوله، ودعاه إلى دراسة هذه وتلك، ليعرف ويتعلم، ومن ثمّ يتجه الاتجاه الصحيح، كما أضافت السُنّة النبويّة الكثير.  
-التعليق 02: بختيشوع بن جبرائيل: كان سريانيا نبيل القدر وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه احد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره، كان عظيم المنزلة عند المتوكل بالله، (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص180/ ابن سينا، 1999، ص234)

-التعليق 03: هو العالم الجليل أبو محمد بن عبد الله ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وهو موسوعة في الصيدلة تحتوي على عدد كبير من الأعشاب والأدوية والعقاقير الطبية. (ابن البيطار، 2001، ص166، 193، 218...ج1)

-التعليق 04: يقول ابن سينا في أرجوزته عن الطب التي تتألف من 1229 بيتا في الطب وأقسامه: الجسم مخلوق من الأمشاج مختلفات اللون والمزاج وكان يقصد الأخلاط الأربعة التي ذكرت سابقا وهي البلغم، الدم، المرة الصفراء، والمرة السوداء (قنواتي جورج شحاتة، 1981، ص31)



- التعليق 05: يراجع مقال بوجلطية خيرة، حول قراءة تعاليمية في فلسفة أبي نصر الفارابي الموسيقية مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، ومقال نصيرة شيادي عن التفكير الصوتي عند ابن سينا بحث في المسائل الصوتية الفيزيائية والسمعية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 9، العدد 5، 2020.

#### - قائمة البيبلوغرافية:

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس (1998)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أولمو فريدة، (2021)، أخلاقيات الطب عند ابن سينا، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، المجلد 10، العدد 2، 2021، (ص 157-163).
- بن أحمد قويدر، (2013)، من تراث الطب الإسلامي، إسحاق بن عمران و مقالة ماليخوليا، أنموذجاً-مجلة العلوم النفسية العربية، العدد 4 (ص 9-28)
- ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد، (2001)، ط 1، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- بوجلطية خيرة، (2019) قراءة تعاليمية في فلسفة أبو نصر الفارابي الموسيقية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، المجلد 12، العدد 1. (ص 152-159)
- الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس، (1988) التصريف لمن عجز عن التأليف فصول مختارة من المقالة الأولى، تحقيق محمد العربي الخطابي، كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت
- ابن حبيب عبد الملك، (2004) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب أو مختصر الطب، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.



- حسين محمد كامل، (د.ت)، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، (د.ط)، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- المازني اسلام صبحي، (1971)، روائع تاريخ الطب والأطباء المسلمين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- خلود بنت عبد الرحمن المميزع، (2011)، أحكام المريض النفسي في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، منشورة، تخصص فقه اسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة الرياض، السعودية.
- ابن النفيس، أبو الحسن علاء الدين (1988) شرح فصول أبقراط، ط1، بيروت دار العلوم العربية للطباعة والنشر
- أبو نصر محمد الفارابي، (1996) إحصاء العلوم، (د.ط) بيروت، مركز الإنماء القومي.
- أبو نصر محمد الفارابي، (د.ت) كتاب الموسيقى الكبير، (د.ط)، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة.
- ابن سينا، أبو علي بن عبد الله، (1996)، القانون في الطب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- السامراني كمال، (1990)، مختصر تاريخ الطب، ط1، بيروت، دار النضال للطباعة والنشر.
- شيادي نصيرة (2020)، التفكير الصوتي عند ابن سينا بحث في المسائل الصوتية الفيزيائية والسمعية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تلمسان، الجزائر، المجلد9، العدد5، 2020(ص152-167).
- العيسوي، عبد الرحمن محمد، (1992)، علم النفس الكلينيكي، ط1، الإسكندرية، الدار الجامعية .
- ابن عمران إسحاق، (2009) مقالة في المايخوليا، (د.ط)، تونس، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة.
- عكاشة أحمد، (1986)، الطب النفسي المعاصر، ط1، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية .



- قنواتي جورج شحاتة، (1981) إسهام ابن سينا في نقد العلوم، مجلة التاريخ العربي، دمشق، العدد 4-5، (ص 30-45)
- القليسي عبد الرزاق، (2015)، الإكتئاب والطب النفسي في الحضارة العربية الإسلامية، (د.ط)الرباط، مؤسسة دراسات وأبحاث.
- تريكي فتيحة، (2021)، النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، غير منشورة في التاريخ الوسيط، جامعة وهران 1، الجزائر.
- الثعالبي عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل (2002)، فقه اللغة وسر العربية، ط1، بيروت دار إحياء التراث العربي.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد، (1985)، مفاتيح العلوم، نشره فان فلوتان، لندن.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (1988)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د.ط)، بيروت، دار الفكر العربي
- أبو الخير الأشيبلي، (1995)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي
- الخطابي محمد العربي، (1987)، الطب والأطباء في الأندلس، الطبعة 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان (2004) سير أعلام النبلاء، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- Henri loo et pierre loo(1996) . la depression .paris .puf.coll.que sais.
- Seleim ammar(1998 ) avicenne.lor du temp .